اللغة التركية

بين التكامل والثورة

(١)

بقـــلم
دكتور فتحى عبد المعطى النكلاوى
رئيس قسم اللغة التركية

اللغـــــة التركيـــــة
« بين التطور الطبيعى والثورة »
ما هى اللغـة ... !

اللغة التى هى وسيلة هامة من وسائل التفاهم المعروفة بين المجتمعات والتى هى نتاج التجمعات الانسانية « بتعريف عام » ليست بناء جامدا ، ذلك لأنها تتغير دائما خلال الزمان وتحت مختلف الظروف · ولقد أثبت عالم اللغة الألمانى "Von Hunboldt" أن اللغة ليست أثرا أو بناء جامدا وانما هى نشاط وفعالية · فلو كانت اللغة أثرا فانه يلزم بعد أن تصل الى مرحلة معينة من النضج ـ ألا تتغير فى أى وقت وعليها أن تظل على ما هى عليه دون أن تخضع لعوامل التأثير والتأثر · اذن فاللغة تتغير دون توقف وهى قادرة على ذلك ، فهى مخلوق حى يتغير ويقدر على التغيير ، ذلك لكونها مرتبطة بالبناء الاجتماعى لكل أمة ·

وهكذا فان اللواحق فى اللغة ، لكون التغير من خصائصها ـ وكذلك الكلمات وعناصر علم اللغة الأخرى تتقادم باستعمالها لفترات طويلة ، ولذا فهى تلقى تقديمها لتحل محله الجديد · ولهذا السبب يشبه العلماء اللغة بأنها مصدر يولد الجديد بصفة مستمرة (١) ·

---

1. Zeynep korkmaz. Dilde dogal gelisme ve "Devrim" acisindan Türk dil devrimi, Türkoloji dergisi, sayi, I S.97.

(٢) المصدر السابق · ص ٩٨ ·

واذا كنا نقول ان اللغة كائن اجتماعى حى يتغير ويقدر على التغير بصفة مستمرة ، فاننا مضطرون أن نضيف الى قولنا هذا بأن الطريق الذى يسلكه التطور فى اللغة يسير فى اطار مقاييس محددة ، وليس وليد الصدفة أو أو الارتجال وسوف نعود الى هذه النقطة فيما بعد ٠

اللغة ـ بصفة عامة ـ تمر بنوعين من التغير :

أولا : تغير طبيعى وتلقائى ٠
ثانيا : تغير يحدث نتيجة تدخل الانسان واعطائه للغة شكلا معينا يريده لهـــا ٠

ونحن نسمى الأول التطور الطبيعى "Dogal gelisme" أو "Evrim" وهذه الكلمة الحديثة تقابل فى العثمانية كلمة « تكامل » واذا كان لنا أن نلقى مزيدا من الضوء أو نعرف بصورة أفضل ما هو معنى التطور الطبيعى فى اللغة ، فاننا نستطيع أن نقول انه هو التعبير عن الخصائص التى تكتسبها اللغة فى بنيتها بصورة تلقائية ، أو هى المؤثرات التى تأتى من الخارج دون أن تكون تحت أى ضغط ، وهو كذلك كل أحداث التطور والتغير التى مرت بها من نفسها على امتداد السنين أو على فترات متباعدة (٢) ٠

ونريد أن نوضح قبل الدخول مباشرة الى تفسير التطور الذى مرت بـــه اللغة التركية مستشهدين بأمثلة لذلك من اللغة ذاتها ٠ نريد أن نقول ان هذا التطور ليس وقفا على لغة دون الأخرى وانما هو تطور تمر به كل اللغـات مكتوبة كانت أم منطوقة ٠ فاللغة العربية مرت هى الأخرى بتطورات كبيـــرة وهائلة حتى انه يمكن القول ان عربية اليوم تختلف اختلافا واضحا عن عربية القرون السابقة ، وان الأولى ليست الا فرعا من الاستمرار للثانية ، أو أنها صورة من صورها : صوره احتفظت بمجموع الخواص الأساسية للغة الأصل، ولكنها انفردت عنها وتميزت عنها بخواص أخرى جديدة ٠

فاذا ما سميت عربية الماضى « العربية الفصحى "Classical Arabic" وجب تسمية عربية الحاضر بالعربية (الفصحى) الحديثة ٠٠

---

(٢) المصدر السابق ٠ ص ٩٨٠

أو أو هى العربية المعاصرة ٠

ومهما يكن من أمر فالعربية المعاصرة - بصورتيها المكتوبة والمنطوقة - تمثل مرحلة من مراحل التطور فى سلسلة التاريخ الطويل للغة العربية (٢)٠

أما « التطور » فتلك كلمة يستخدمها الباحثون فى أربعة معان مختلفة ٠

فهى عند البعض تفيد الانتقال من طور الى طور أحسن وأفضل (modern Arabic) على أساس أن اللغة بهذا الانتقال قد ادت وظيفتها على خير وجه ، فقابلت حاجات الانسان فى حياته المتجددة ، ولم تقف جامدة أو عاجزة عن مواكبة الحركة الدائبة فى المجتمع الذى يحتضنها٠

وثمة فى الجانب الآخر من الصورة رأى يأخذ اتجاها مضادا فى هذه القضية ، ذلك هو رأى التقليديين من المشتغلين باللغة الذين ينظرون الى مظاهر التطور على أنها نوع من الخطأ (neo-classical) « وحجتهم فى ذلك أن هذه المظاهر - كلها أو بعضها - تتضمن بالضرورة خروجا عن القواعد المرسومة التى سجلت فى كتب اللغة والتى ارتضاها رجال القواعد الموثوق بهم ٠ ومضمون هذا الرأى أن هؤلاء التقليديين جعلوا القواعد الرسمية وحدها أساس الحكم بالصواب والخطأ ، وهم بذلك قد أهملوا النظر الى الاستعمال الواقعى وقيمة هذا الاستعمال فى الفصل فى هذه المسألة ٠

وهناك من اللغويين من يتخذ موقفا وسطا ، فيفسر التطور «بالانحراف» "Deviation أو drift" التطور فى نظرهم خطوة على الطريق ، لم تصل بعد الى مرحلة الخطأ الصرف ، وفى استطاعة الباحثين رد أمثلة هذا التطور الى أصلها بالتنبيه عليها وتوجيه مستعمليها الوجهة الصحيحة ٠

وهذه الآراء تتسم بالذاتية فكل منها يعطى حكمه وفق وجهة نظر خاصة، وينظر الى الموضوع من جانب واحد دون النظر الى الجوانب الأخرى ٠

---

(٢) كمال محمد بشر ٠ دراسات فى علم اللغة - القسم الثانى - ط ٢ دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ٠

اما التفسير الرابع فقد حاول التخلص من هذه المسحة الذاتية ، وفسر التطور تفسيرا موضوعيا على أساس من الواقع والحقيقة · ذلك هو تفسير التطور بالتغيير · فكل ما يعنيه أصحاب هذا الاتجاه هو أن هناك شيئا ما حدث باللغة ، أو أن هناك تغيرات أو ظواهر جديدة لحقت بها فى هذه الفترة الزمنية أو تلك على هذا المستوى اللغوى أو ذاك · ووظيفة الأخذين بهذا الرأى هى الملاحظة المباشرة ثم تسجيل ملاحظاتهم ورصدها بطريق وصفها كما هى دون أن يعرضوا - فى هذه المرحلة - لموضوع الصواب والخطأ · فاذا ما تم لهم المسح الشامل والاستقراء الكامل للظواهر اللغوية التى يجرون وراءها ، جاز لهم حينئذ أن يعمدوا الى عملية التقديم (٤) ·

واذا أردنا أن نتعرض لكل هذه الآراء فنقول فى ايجاز شديد أن فى كل منها ما هو صائب وما هو خطأ ، فليس كل تطور هو تطور الى الأحسن والأفضل كما هو الرأى الأول ، كما أن ليس كل تطور هو خطأ أو انحراف كما جاء فى الرأيين الثانى والثالث · لأننا نؤمن أن التطور هو من صفات الكائن الحى وما دمنا قد سلمنا بأن اللغة كائن حى ، اذن فعلينا أن نسلم بضرورة وحتمية التطور ، ولكن الأمر الذى يجب أن نقره كذلك هو أن هذا التطور يكون الى الأحسن والى الأفضل فى بعض المراحل ، تلك التى يكون فيها مواكبا لحركة المجتمع الدائبة نحو التطور والتقدم ، والتى يكون فيها هذا التطور ضروريا لاستيعاب معطيات العصر والعلم والتقنية الحديثة بحيث نستطيع أن نقول أن للمجتمعات المتقدمة لغات متقدمة والعكس صحيح ، فالمجتمعات المتخلفة أو البدائية لها لغات متخلفة وبدائية كذلك ·

أما النقطة الثانية فهى أن التطور فى بعض الأحيان وفى بعض المراحل التاريخية يكون بمثابة انحراف وخطأ لأنه يبتعد باللغة عن مسارها الصحيح ويتضح هذا أكثر فى المجتمعات الغيرة المستقرة أو التى تتعرض عبر تاريخها الطويل للهجرة من مكان الى مكان أو التى تجد نفسها مضطرة فى مرحلة من المراحل للدخول فى دائرة ثقافية جديدة والوقوع تحت تأثير هذه الثقافة مثلما يحدث للمجتمعات البدوية التى لا تعرف الاستقرار أو التى لم

---

(٤) المصدر السابق · ص ١٢٤ - ١٢٥ ·

تكن تعرفه فى الماضى ، ومثل هذا الوصف ينطبق على اللغة التى نحن بصدد دراستها وهى اللغة التركية ٠

وأرى أن عرضا سريعا لمراحل تطور اللغة التركية قد يفيدنا فى فهم ماهية التطور الذى عاشته وخصائصه ومن ثم تستطيع التفريق أو فهم الفارق الأساسى بين ما يسمى بالتطور الطبيعى للغة وبين الثورة أو الانقـــلاب اللغوى ٠

مراحل تطور اللغة التركية

ان أول دولة تركية ذات وثائق مكتوبة هى دولة « الكوك تورك » (٥٥٢ ـ ٧٤٥ م) وهذه الوثائق هى نقوش وجدت فى مناطق اورخون ، ينيسى وطالاس٠

وهذه النقوش التى وثقت الحياة السياسية والاجتماعية لحكم الكوكتورك نقشت باسماء الحكام « كول تيجين (٧٣٢) ، وبيلكه قاكان (٧٣٥) ، أما النقش الثالث فنقش باسم الوزير « طونيوقوق » (٧٢٠) م ٠

ولقد ظلت تركية هذه النقوش مجهولة لنا الى أن تمكن العالم الدانمركى « طومسون » من حل رموزها فى القرن التاسع عشر ٠

عندما بدأ العالم « طومسن » الاهتمام بهذه الكتابات ، كان أول حرف تعرف عليه ـ بعد عمل شاق ومضن هو الصوت (١ ـ !) الذى هو لاحقـه الملكية ٠

ولقد جلب اهتمام طومسن ما نشره (E. H. Parker) رتب ترجمة القسم الصينى لـ (كوستاف شليجل) فى تلك السنوات ، واستمر فى مواصـــلة جهوده فى اتجاه آخر ٠ وهذا الاتجاه هو محاولة قراءة أسماء الأشخاص، ووفق فى قراءة كلمات (تورك ، كون ، قورت) للمرة الأولى ٠ وبعد أن تمكن من حل كل الأبجدية فى ٢٥ نوفمبر (تشرين ثانى) ســـنة ١٨٩٣ ، قرأها باعتبارها بيانا علميا فى أكاديمية العلوم الدانمركية فى ١٥ كانون الأول سنة ١٨٩٣ ٠ وهكذا حياه العلماء بالتصفيق وقوفا واعتبر ذلك نقطة تحول فى الدراسات التركية ٠ وبناء عليه فقد نشر رادلوف (النقوش) سنة ١٨٩٥ ٠ ولقد قدم طومسن ترجمة صحيحة لهذه النقوش فى سنة ١٨٩٦ ناشرا مقالا

أوضح فيه جانبا من الأخطاء الموجودة فى ترجمة « رادلوف » وعدا ذلك فقد وضع ملنيورسكى » وهو واحد من علماء التركيبات الروس ترجمة روسية لنص « كول تيكين » ·· (٥)

ولقد قبلت اللغة التى كان يتحدث بها « الهون » الذين هم أجداد « الكوكتورك » بصفة نظرية ، باعتبار أنه لا توجد بين أيدينا آثار كافية من هذه اللغة ، ولا تزال اللغة التركية لعصور الهون وما قبلها مجهولة لنا تماما ·

---

5. Kayhan Erimer : Eski Türkçe Göklürb ve uggur yazi dili, Ankara, 1969, S...

ـ من الروايات المتعددة التى تتعلق بنشأة الترك الذين عرفناهم تاريخيا ابتداء من القرن السادس الميلادى تلك الرواية التى ترويها المصادر الصينية وتشير الى أن أجداد الكوك تورك هم الـ "T'sü - k - üler" وهم من الشعوب التى شكلت دولة الهون و « تسوكو » أو « جوجو » هى ترجمة لهذا الاسم كما هو فى لغة هذا الشعب الاصلية الى اللغة الصينية ولكننا لا نعرف أصله · وكان البطل الاسطورى « تورك » يرجع الى هذا الاصل ·

واذا صحت هذه الرواية الصينية فتكون (هو ـ سى) أى غرب النهر الاصفر هى وطن الـ (تسو ـ ك ـ ولر) · كما تشير عبارة غرب النهر الاصفر الى ولايات (قانسو شه نسى ، أوردوس المعاصرة · ولقد استولى الصينيون الذين تقدموا صوب الغرب نتيجة انتصارين كبيرين سنة ١٢١ ، ٥٤ الميلاديتين ، وأنشأوا فيها القلاع ووطنوا فيها العسكر والموظفين ·

ولكن حدث فى عصور ضعف الصينيين أن حاولت التجمعات المختلفة التى تعيش فى قانسو وهى (الهون ، السين بى ، التيبتيون والتانجوت وغيرهم) حاولت الحصول على استقلالها ثانية ·

أما « تسوكو » وهو الاسم الذى أشرنا اليه كان اسم رتبة تعود الى السيد السادس الذى يقف على يسار حكام الهون ، وقد أطلق هذا الاسم على الاسرة التى تحوز تلك الرتبة أو على الشعب الذى تنتسب اليه الاسرة الحائزة عليها ·

Emel Esin : Gök Türklerin ecdadindan Tsu - k - u Meng-siin (M.ö 367 - 433) devrinde San'at. Türk kültüruü dergisi, Sayi, 100, S. 66 - 67.

ثم تأتى بعد ذلك الدولة الأويغورية التى وضعت نهاية دولة الكوك تورك سنة ٧٥ والتى امتد عمرها بين سنتى ٧٤٥ ـ ١٢٠٩) وكان لتلك الدولة مدينة مزدهرة ـ لم تر من قبل ـ خلال مدة حكمهم الذى امتد قرابة مائة وخمسين عاما · وقد استخدم الأويغوريون أبجديات متنوعة ، كان أكثرها ذيوعا الأبجدية الأويغورية التى ترجع أصولها الى أبجدية « الصغد » · كما توجد اليوم الكثير من الآثار المكتوبة بتلك الأبجدية ، كما أن الكثير من آثار الأويغور المخطوطة وأشياء الزينة والصناعات اليدوية موجودة فى العواصم الأوربية (٧)

ولقد أعطى العلمـــــاء للغتى هـــذين العصرين أى عصر الكوك تورك والأويغوربين اسم « عصر اللغة التركية القديمة » أما ما قبل هذين العصرين فهو عصر التركية الأقدم أو عصر الآلتاى ·

هذا ويأتى بعد العصرين المذكورين عصر التركية الوسيطة « أورطه تركجه جاغى » وهو عصر الأتراك المسلمين الذى امتد فى القرن الحادى عشر حتى القرن العشرين ، وكتبت فى هذا العصر الآلاف من الآثار الدينية والصوفية · وكانت تلك اللغة هى لغة الحديث لدولة القراخانيين (٨٤٠ ـ ١٢١٢ ـ وكذا للدولة السلجوقية الكبرى (١٠٤٠ ـ ١١٥٧) ، ثم انقسمت هذه اللغة الى ثلاث لهجات كبرى سميت بالجفتائية فى الشرق ، والقبيجافية فى الشـمال ثم الأوغوزيه فى الغرب والتى سميت بالعثمانية فيما بعد ·

أما فى عصر التركية الحديثة والتى تمتد من القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين فقد تعددت لهجاتها وأخذت لها ملامح واضحة وهى تربو على العشرين لهجة منها العثمانية والأذرية والتركمانية والأوزبكية والقازافية ، ولقد استقرت السنة هذه اللهجات على خلافات صوتية هامة فيما بينها ··

---

7. Hamza Zülfikar : Yüksek ogretimde Türkçe yazim ve anlatim. Ankara, 1977, S. 24 - 25.

(٧) المصدر السابق · ص ٢٥ ·

ثم يأتى أخير عصر تركية تركيا وهى التى تحدد بدايتها بالثورة اللغوية التى قادها أتاتورك سنة ١٩٢٨ والتى يمكن تسميتها بالتركية المعاصرة ، والتى ما زالت تركيا تعيش حملاتها حتى اليوم (٧) ٠

والآن وبعد هذا العرض الموجز لتاريخ اللغة التركية وتطورها نعود الى موضوعنا الأساسى وهو : ما هى مظاهر التطور الطبيعى فى اللغة التركية ٠

ولتكن اللغة التركية القديمة هى مرجعنا الأول فى ذلك ٠ ووفق تقسيم العلماء المتفق عليه ، فان اللغة التركية القديمة هى لغة الأتراك فى آسيا الوسطى قبل الاسلام ٠ وبين تلك اللغة واللغة التركية المعاصرة ثمة فروق منها على سبيل المثال ٠ فان الحرفين الصامتين (G-D-) لا يأتيان فى بداية الكلمات وانما يأتى بدلا منهما حرفا (K-T-) مثل .

(Kir-, Kör-, Küç ; Til, tiz, tiniz) ، ولقد أعيد استعمال هذين الحرفين بشكلهما الأول "K" الى "G" وكذلك "D" الى وذلك خلال الفترة من القرن الثامن الثالث عشر الميلاديين وعلى وجه الخصوص فى لهجتى الأوغوز والتركمان ٠

وهذه العودة هى نوع من تغير مر باللغة من حيث بنائها الصوتى (Fonetik) وهذا التغيير هو موضوع من موضوعات علم الشكل (Sekil bilgisis) : ففى نصوص « اللوكتورك » فان لاحقه المستقبل هى "Taçi/-Teci" فبدلا من "gelecegim" بمعنى سأتى نجد « kelteçi-men أما فى الأويغورية فتحل محل هذه اللاحقة ، Gay/-gey - لتصبح فى الأويغورية "kelgey-men" وفى تركية الأناضول القديمة كانت تستعمل اللاحقة "Isar/isser Geliser-ven" ، والتى أصبحت فى تركية تركيا acak/ecek لتصبح الكلمة "gelecegim"

---

(٧) المصدر السابق ٠ ص ٢٥ ٠

8. Zeynep korkmaz, S. 98.

وهذا يعنى أن لاحقة المستقبل فى اللغة التركية مرت بتغيرات عدة فى أجنحة من اللغة التركية فى فترة طويلة تمتد من القرن الثالث عشر وحتى القرن العشرين ٠

ولقد قلنا أن هذا التغير لا يقف عند عنصر معين بل تمر به كل عناصر اللغة . فالكلمات لذلك تمر بهذا التغيير ٠ فقد سقطت على سبيل المثال من الاستعمال كلمتى "Sab-sav" فى التركية القديمة بمرور الزمن وحلت محلها فى اللغة الحديثة كلمة "Söz" بمعنى كلمة ٠ وكلمة "yabiz" فبينما كان يقال yabiz yablak kisi بمعنى سيء (Kötü) فانها استعملت فى تركية الأناضول فى القرن السادس عشر فى شكل "yavuz" وبمعنى مضاد تماما للمعنى القديم أى بمعنى حسن ٠ ونحن فى اللغة المعاصرة عندما نقول « أوربا وزير أدمدر » فاننى نعنى أنه رجل حسن ٠

ووفقا لما ذكرناه يتضح أن ثمة تطور فى اللغة يتجه نحو الأفضل ونحو بناء أكثر جمالا وثراء وأكثر كفاية ، وهذا التطور يواكب عملية التغير فى التدفق الطبيعى للغة ٠ فاللغة التى تتغير وفقا لما يمكن أن تحمله من خاصية التطور يصبح فيها التغير والتطور عنصران يسيران من اجلين لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر ٠

ولذلك فان اللغة المتغيرة هى لغة قادرة على التطور فى نفس الوقت ، وهاتان الخاصيتان الرئيسيتان فى التغيرات الطبيعية فى اللغة تسيران متداخلتين ومتجاورتين تحت شروط طبيعية ٠

واللغة لكونها كائن اجتماعى فانها وثيقة الصلة بالحياة الثقافية للشعوب والمستوى النقائى لها ٠ ولهذا السبب فان اللغة التى تتغير وتتطور عن طريق التكامل (Evrim) فانها تعد خير وسيلة لكل أنواع التغير والتطور فى الحياة الثقافية للمجتمع الذى ترتبط به ٠ وكنتيجة طبيعية لهذا الموقف فانه

لابد أن تكون للشعوب التى وصلت الى مستوى عال من الثقافة لغات سمت وارتقت بنفس القدر (٩) ٠

ماذا نعنى بالثورة :

ولنأتى الآن الى الثورة "Derrim' وقبل أن نصل الى تعريف لهذه الكلمة ينبغى أن نوضح أن مقابلها العثمانى هو كلمة « انقلاب » فالثورة بتعريف عام ـ وفق ما قاله اتاتورك تعنى « هدم المؤسسات القديمة على أن تحل محلها مؤسسات جديدة تؤمن سبل التقدم وفقا لأسمى الضرورات المدنية للأمة (١٠) ٠

وكما يوضح اتاتورك بتلك الجمل الهدف الرئيسى من كل هذه الثورات المتلاحقة ٠ فيقول :

« ان هدف كل تلك الثورات التى قمنا ولا زلنا نقوم بها هو ايصال شعب الجمهورية التركية الى حالة مجتمع عصرى تماما بكامل شكله ومعناه (١١) ٠

وهذا يعنى أن الثورات فى حقيقتها هى حملات حاسمة للتجديد والتقريب (كما يرى الأتراك) على طريق امكانية ايجاد شعب ذى مستوى ثقافى متقدم ، وكذلك فانها حرب لازالة الموانع التى تقف سدا دون تطور الشعب التركى ٠

واذا تناولنا الثورة اللغوية وفقا لهذه التعريفات العامة ، فان الثورة اللغوية التركية تصبح وفقا لهذا هى حملات لامكانية خلق لغة قومية عادت الى ذاتها ، وتحققت لها امكانية التغير والتطور التلقائيين ، لغة قومية غنية لنها

---

(٨) المصدر السابق ٠ ص ٩٩ ٠

10. Enver ziya Karal, Atatürktem düsünceler, Ankara, TTK - 1956, S. 105.

(١١) نفس المصدر ٠ ص ٤١

الكفاية - من كل النواحى - على أن تستوعب التطورات الثقافية والقومية ٠ واذا كان من الضرورى أن نقنع كلا من الاصطلاحين « التكامل والثورة » (Evrim - Derrim) فى جملتين مفيدتين فيمكننا أن نقول ان «التكامل» هو التغير والتطور التلقائى للغة عبر القرون ، أما « الثورة » فهى حادث التغيير والتطوير على يد الانسان وفى فترة زمنية قصيرة ٠

وهنا فان سؤالا - أردنا أو لم نرد - يطرح نفسه على الساحة ، ومؤداه، ألم تكن اللغة التركية قادرة على أن تحصل على هذه الكفاية وعلى هذا التطور من تلقاء نفسها بحيث يحدث هذا التدخل من قبل الانسان ؟ وعليه كذلك فيمكن طرح السؤال التالى : هل كانت الثورة اللغوية ضرورة ؟

ويمكننا أن نجيب باختصار « نعم » كانت هناك ضرورة ٠ فليست الثورة اللغوية التركية نوعا من الكماليات التى كان يمكن الاستغناء عنها كما يرى البعض ، وليست كذلك بمثابة مدخل أرادة البعض لتحقيق رغبات خاصة ٠ فهى حملة ولدت نتيجة لحاجات اجتماعية وقومية مثلها فى ذلك مثل سائر الثورات الأخرى التى حدثت ، فكلها تعبير عن ضرورة تاريخية ٠

ولقاء الضوء على هذه النقطة يمكن أن نقول بأن اللغة يمكن أن تعرف من مناحى متعددة وبصورة مختلفة ، ولكون هذا مرتبط تماما بموضوعنا فانه يمكن أن يقال - آخذين فى الاعتبار بصورة عامة بأن لكل من المجتمعات الانسانية التى اكتسبت كل منها صفة « دولة » لغة خاصة بها - بأن اللغة هى وسيلة تفاهم وطنية ، وفى الحقيقة فان الأمر كذلك ، فللترك تركيتهم ، وللفرنسيين فرنسيتهم ، وللعرب عربيتهم ، وللايطاليين ايطاليتهم ، وما دامت اللغة وسيلة تفاهم وطنية ، ففى هذه الحالة فانها تصبح جزء لا يتجزأ من حياة أمة ، فتغيرها وتطورها يسير بصورة متوازية مع تاريخ هذه الأمة ومع ماضيها الاجتماعى ومستواها الثقافى ، ولهذا السبب فانه من الطبيعى رؤية كل أنواع التغير والتطور التى تظهر فىهذا البناء الاجتماعى فى اللغة٠ واللغة بذلك - بكل جوانبها - هى مرآة للعصور التاريخية وللحياة الاجتماعية (١٢)٠

وحتى نستطيع أن نتبين هذا الأمر جيدا أرى أن من المناسب أن نقف وقفة على موقف اللغة التركية التى تطورت فى الأناضول أى منذ وفد الأتراك على

12. Zeynep Korkmaz, S. 100 - 101.

الأناضول واستقرارهم فيها تاركين مواطنهم الأصلية الأولى فى أواسط آسيا · فمراحل تطور هذه اللغة في موطنها هذا يمكن تقسيمها الى ثلاثة مراحل رئيسية · هى : مرحلة السلاجقة والأخرى هى مرحلة امارات الأناضول، أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة العثمانية التى نمت وازدهرت مع نمو وازدهار الدولة العثمانية ·

مرحلة السلاجقة : (١٣)

فالأتراك الذين وفدوا على الأناضول فى القرن الحادى عشر وأسسوا ما عرف تاريخيا بدولة السلاجقة كانوا قد قبلوا الاسلام ، وكان دولتهم تحمل صفة الدولة الاسلامية · وهم بذلك يكونون قد انفصلوا عن مجالات الثقافة الصينية والهندية وغيرها والتى كانوا قد تواجدوا فى حالة علاقة ورابطة بها الى درجة ما قبل الاسلام ، وهم بدخولهم الاسلام يكونون قد دخلوا الى مجالات ثقافية جديدة · هذا ويعد عصر السلاجقة هو عصر تأسيس لغة الكتابة

· (١٣) كان السلاجقة أحد بطون قبيلة الغز فات الـ (٢٤) بطنا فى القرن السابع الميلادى حيث ذكر محمود التاشنغرى المعروف فى القرن العاشر بأن الاتراك البدو الذين استوطنوا حدود الافغان قد انقسموا فى ذلك التاريخ · ويميل بعض المؤرخين الى ايجاد علاقة بين هؤلاء الغزو و (هوانك نو) الذين اجتاحوا مقاطعات الصين الغربية حوالى (١٢٠٠ ق·م) وبين خلطائهم (الهانويين) الذين دمرهم الصينيون عام (٢١٥) م اذ هربوا نحو الغرب واجتاحوا شمال أوربا حين عرفوا هناك باسم (الهون) · أما الغز الذين بقوا فى اسيا فقد تكاثروا وازدهروا وعرفوا باسم (الترك) زمن الفتح العربى فى أوائل القرن الثالث الميلادى · وأما عن السلاجقة فيدعون بأنهم من سلالة ملكية يرجع نسبهم الى سلجوق ، وحسبما جاء فى تاريخ كزيده أو التاريخ المستوفى يعود نسبهم الى عشيرة قاباق التى ينتمى اليها الامير (افراسياب) (وثمة أساطير عن سلجوق لا مجال هنا للحديث عنها)

هذا ولقد فتحت موقعة (ملاذكرد) ٤٦٤ هـ (١٠٧١) م والتى قادها آلب أرسلان الطريق أمام التسلل السلجوقى الى آسيا الصغرى (٤٣) ولقد امتد حكم السلاجقة لاسيا الصغرى من سنة ٤٧٠ هـ ـ ١٠٧٧ م الى حوالى ٧٠٨ هـ ـ ١٣٠٨ م ·

(تامارا تالبوت رايس · السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى وابراهيم الداقوقى · بغداد ١٩٦٨ · ص ١٧ ـ ٢٠ ، ٤٣ ·)

التركية التى تطورت فى الأناضول ، كما تحاول اللغة التركية أن تكون لغة أدبية وفق الشروط الجديدة ، واذا كان الأتراك فى آسيا الوسطى كانت توجد لهم لغات كتابة قائمة ومتطورة وغنية ، فان الكثرة الغالبة من أتراك الأناضول كانت تعتمد على الأوغوز مستوطنين كانوا أم مهاجرين ، وكان الاوغوز الذين وفدوا على الأناضول قد جلبوا معهم تراثهم الأدبى الى تلك المنطقة وذلك بين القرنين الحادى عشر والثالث عشر الميلاديين (١٤) · وكانوا الى درجة ما مستمرين فى روابطهم مع آسيا الوسطى ، الا أنه بسبب عدم وجود أدب مكتوب بالأوغوزية ، فقد كان من الضرورى بذل جهود خاصة من أجل جعل اللغة التركية لغة كتابة محلية وفق الظروف الجديدة فى منطقة الأناضول · وهكذا فان اللغة التركية خلال جهود استثنائية تمكنت من شق طريقها مواجهة عقبات وصعوبات جمة · هذا وتعد استفادة الأوغوز الذين دخلوا الى دائرة الثقافة الاسلامية الجديدة ـ مع قبولهم للاسلام ـ من المفاهيم العربية والفارسية هو أمر طبيعى الى درجة ما · ذلك لأن الشعوب التى تواجدت فى حالة أخذ وعطاء مع الثقافة المقابلة ، والتى غيرت مجالاتها الثقافية ، فان هذه الشعوب تبقى ـ شاءت أم أبت ـ تحت التأثير الجبرى لهذه الثقافة·

الا أنه مع هذا الموقف الاعتيادى لذلك التأثير ، فان تلك الشعوب لايمكن أن يصل بها الأمر الى هدم لغتها الأصلية فى أى وقت من الأوقات ومهما كانت درجة التأثير · لأن المفروض أن تبحث هذه الشعوب فى لغتها الأصلية عن مرادفات للمفاهيم الأجنبية ـ خلال فترة قصيرة ـ وفى خلال هذه المرادفات تؤسس ثروة لغوية قومية مقبولة للغة الأصلية وللبناء الاجتماعى · ولقد تمكنت اللغة الأويغورية قبل الاسلام فى مرحلة الدولة الأويغورية ، أن تعطى نموذجا جميلا لهذا الموقف · الا أن الموقف فى عصر سلاجقة الأناضول أصبح مختلفا تماما ، فالسلاجقة ـ فى المجال الثقافى الجديد الذى دخلوا اليه بالاسلام ـ بدلا من أن يوجدوا فى لغتهم كلمات ومفاهيم دينية وأدبية وفلسفية وعلمية يفرضها هذا المجال الثقافى الجديد ، واقتنعوا بلغتى العرب والفرس تعقبوهما وقبلوهما كما هما ·

---

14. Köprülüzade. M. Fuad. Anadoluda TürYkdili ve Edebiyatinin tchamülüme umumî bir bakis, yeni Türk mecmuasi 1944, S. 277.

ولقد كتب المتقدمون من السلاجقة آثارهم بهاتين اللغتين مقلدين النماذج الأدبية العربية والفارسية التى عولجت كثيرا · واكتسبت هاتان اللغتـــان أهمية بحيث أصبحتا لغتى الدولة · ووفقا للنظرة السائدة فى المجال العلمى اليوم ، فان استمرار اللغة العربية عند سلاجقة الأناضول حتى أواخر القرن الثانى عشر ، واللغة الفارسية فيما بعد كلغتين رسميتين للدولة ، وكذلك الأهمية التى اكتسبتهما هاتان اللغتان كلغتى علم وأدب ، وفى المقابل كـون اللغة التركية قد انحصر استخدامها فى أعمال الشعب وفى الآثار المتناقلة شفاها ، كل هذا قد أخر تكون لغة الكتابة التركية وفقا للشروط الجديدة ، وكذلك تأخير آثارها العلمية والأدبية لفترة طويلة ·

ومع هذا فان تلقيح التراث الأدبى فى الأناضول للتراث الأدبى للبطون الأغوزية والتركمانية الوافدة من الشرق ، لم يقف حائلا دون تأسيس لغة كتابة خاصة بهذه البطون فى هذه المنطقة ·

هذا ونعتقد أن اللغة التركية فى العصر السلجوقى بما اكتسبته من قوة التعبير وتدفقه على يد يونس أمره لهو خير دليل على ذلك (١٥) · هذا ومن ممثلى تلك المرحلة الى جانب يونس أمره ، سلطان ولد ، شباد حمزه ، أحمد فقيه ، خوجه دهانى ·

هذا وأرى أنه من المناسب أن نعرض لأهم هؤلاء وهو الشاعر المتصوف يونس أمره ، الذى كان على يديه احياء اللغة التركية وانقاذها فى مواجهـــة العربية والفارسية الكاسحتين فى ذلك العصر · فما أداه يونس أمره فى تلك المرحلة المظلمة فى تاريخ اللغة التركية كما يرى الأتراك ـ لا يمكن تجاهله أو التقليل من قدره ·

يونس أمره :

أكبر الشعراء الذين انجبتهم التكايا فى زمانه ·· لا توجد معـــلومات واضحة حول حياته ، كما أنه ليس معلوما على وجه اليقين تاريخ ولادته أو وفـاته ·

---

15. Zeynep korkmaz, S. 102.

ووفقا لقسم من الادعاءات ، فقد عاش يونس أمره فى القرن الثالث عشر ووفقا للبعض الآخر الذين يعتمدون على بعض السجلات التاريخية القديمة، فقد عاش يونس فى القرن الرابع عشر · وبالنظر الى أشعار يونس فانه من الممكن أن نجد جانبا من الصواب فى كلا الادعاءين · وفى هذه الحالة يرد الى الذهن ثلاثة شعراء حملوا نفس الاسم ، الا أننا لا نملك أية وثيقة تتعلق بأحدهم ·

هذا ويقبل المفكر التركى محمد فؤاد كويرويلى (١٦) الذى وقف طويلا

---

(١٦) فؤاد كويريلى (١٨٩٠ -) رائد من رواد البحث فى تاريخ الادب التركى ، وصاحب نظرة متقدمة ، اذ بحث فى تاريخ الادب التركى على أنه يشكل فرعا من تاريخ الحضارة ، وكذا فانه يمثل نتاجا اجتماعيا ، ولذا فان دراسة الادب - فى رأى كويريلى - لابد أن تتحقق وفقا لاصول علم الاجتماع ·

وقد أحدث كويريلى بكتابه (تورك اديباتى تاريخى) الذى سلك فيه هذا المنهج انقلابا فى دراسة تاريخ الادب التركى ·

لقد بدأ كويريلى حياته الادبية شاعرا مقلدا لحامد وهاشم وضيا كوك آلب - ثم استقر به المقام عالما وحجة - فى الاوساط العلمية العالمية- فى تاريخ الادب والتاريخ التركيين وذلك نظراته العلمية العميقة فى مختلف فروع الدراسات التركية ، ومقالاته وكتبه القيمة فى هذا المجال ·

لقدى كان يدنس أمره - قبل كويريلى - ليس سوى شاعر من الدروايش البسطاء· وكانت الدراسات التى سبقت كويريلى (ايلده متصوفلر تبحث فى أمور مولده ووفاته ومثنوياته وخمساته ودواوينه وما الى ذلك · واكن لم تتعرض هذه الدراسات لثقافته وفكره ، تبحث فى أمر تكامله وتطوره تحت الشروط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لهذه الثقافة ، وكذلك باعتباره نتاج فكر وحس وروح الشعب التركى آنذاك ·

لقد انفرد كويريلى بكتابة أثر هام عن الادب التركى قبل الاسلام · ويعد أثره عن الادب القومى والمعارك التى دارت رحاها خلاله أثرا علميا هاما · كما أن له الكثير من الدراسات الهامة فى الادب واللغة التركيين والتى تعد بحق دراسات جديدة ومتكاملة تتعلق بشتى الموضوعات قبل القرن السادس عشر ·

وعدا تلك الابحاث والمقالات المتعلقة بالادب والتاريخ المنشورة فى مجموعات ومجلات ، توجد له تلك الكتب العلمية الهامة ، تركيا تاريخى (١٩٢٣) ، مللى اديبات جريا نينك ابلك ميثرلرى وديوان تركى بسيط (١٩٢٨) ، تور شاز شاعر لرى (المجلد الثانى - ١٩٤٠) ، عثمانلى دولتينك فورولوش (١٩٥٩) ، م ديوان اديباتى انولوجيسى (١٩٣٤) ·

(Koca Türk, S. I 825)

عند حياة يونس أمره فى كتابه «الهام» «ايلك متصوفلر» أى «المتصوفون الأول» ، بل ويدلل على صحة ما يقول . فهو يرى أن يونس توفى خلال السنوات التى أعقبت سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧) م ، وكان قد عمر طويلا . وبناء عليه فقد عاش يونس فى القرن الثالث عشر . وواحد من الأدلة التى اعتمد عليها فى حكمه هذا هو هذا البيت الذى وجد بين أشعار يونس .

Dahi tarih yediyüz idi
Cani yumus bu yolda kodu idi.

الا أن هذا التاريخ المذكور لم يوضح تماما نوع الحادثة التى وقعت فيه، هل كانت وفاته أم انه وفقا لشكل البيت (كان التاريخ هو سبعمائة وسبعة) . يكون البيت نفسه قد كتب بعد فترة طويلة من تلك الواقعة ، ولابد أن تلك الواقعة لم تكن وفاته بقدر ما كانت دخوله الى طريق الدروشة والتصوف . وفى تلك الحالة فان قبول وفاته فى السنوات التى أعقبت هذا التاريخ لا يعد أمرا مقبولا أو معقولا .

لقد اعتمد كويرويلى فى حكمه هذا على التحليل التاريخى ، دون أن يملك وثيقة واحدة تدل على أن يونس عاش فى القرن الثالث عشر ، بل العكس من ذلك يبدو أقرب الى الصواب ، فان أشعار يونس من حيث أوصافها اللغوية أكثر اقترابا من الأوصاف اللغوية للقرن الرابع عشر .

هذا وثمة ادعاء آخر صاحبه هو عبد الباقى كلبينار ، والذى يرجع فيه وفاة يونس الى تاريخ أسبق حيث يرى أنه توفى سنة ١٢٧٣ م ، وأنه التقى بمولانا جلال الدين الرومى وهو فتى يافع أن ادعاءه هذا غير موثق ويرجع أساسا الى الفهم الخاطىء لأشعاره (١٧) .

وعلى أية حال فان أهمية يونس أمره بالنسبة لتاريخ اللغة والأدب التركيين تكمنان فى أدبه وما أتى به وحققه .

---

(١٧) للحصول على معلومات أوفى فى هذا الصدد راجع المصادر التالية :

1. Koca Türk Mahit vasfi. Türk edebiyati Tarihi, Ankara 1964.
2. Abdulbaki Gülpinarli, Yunus Emre divani, Istanbul, 1943.
3. Köprülü Zade Mehmet Fuad, ilk mulasavriflar.
   Ahmet kapakli. Mevlana, 100 büynk Sair, buyuk Edip. 3

ففي القرن الثالث عشر والرابع عشر كان حال الانسان في الأناضول قد وصل الى درجة من اليأس والسوء فوق كل تصور ، حتى أن الحياة الاجتماعية كان قد أصابها الشلل التام · فالعصيان والخلافات والحقد والكراهية كانت هي السمات المميزة لحياة الأتراك في الأناضول · ولم يكن من الممكن في ذلك العصر فهم مولانا جلال الدين الرومي (١٨) من قبل الشعب حيث كان يتغنى مولانا ويفكر باعتباره ممثلا للغة والأدب الفارسيين حينذاك · ولم يتردد الكثير من كبار الشعراء ـ عدا مولانا ـ من كتابة آثارهم بالفارسية ، وظلوا تحت تأثير الأدب الايراني بعد دخول الترك الى دائرة الثقافة الاسلامية ·

ولقد أدرك يونس حقيقة الأمر ، فالشعب التركي غير قادر على فهم شيء قط باللغة التي يعرفها ، وآمن بأنه لابد أن يخاطب الانسان في ذلك العصر بلغته · ومن هذا المنطلق كانت وقفة يونس في مواجهة ظلم اللغة الأجنبية وجبروتها ، ووضعه اللغة التركية في مكانها الصحيح ، وكتابته بها · كل هذا جعل من يونس حبيبا للشعب ، ومصدرا لأمله وفرحته · وسواء كان في حياته أو بعد مماته ، فان يونس أصبح مصدرا للاحترام في كل بيت تركي ، ومقروءا من قبل كل شخص · لقد استقر يونس في كل قلب بحيث لم يعد ثمة مكان لغيره ·

لقد أصبح يونس أمره بشخصيته الأسطورية اسطورة ·

ومن هنا فان البحث عن مكان أو يوم ولد فيه يونس أمره يعد أمرا لا معنى له · فقد تجاوز يونس أمره بدوره الذي أداه للغة والأدب التركيين حدود الزمان والمكان · فماذا يمكن أن تغير الأبحاث التي تحاول الوصول

---

(١٨) ولد مولانا في مدينة بلخ في أفغانستان ، الا أن تاريخ مولده لم يثبت حتى الان بصفة قاطعة ، غير أنه ورد في أثر من أجمل ما كتب عن مولانا من آثار وهو لـ افلاقي أحمد ده) من مؤلفي القرن الرابع عشر أنه ولد سنة ١٢٠٧ الموافق ٦٠٤ هـ ·

الا أنه يفهم مما ورد على لسان مولانا في (فيه ما فيه) أن تاريخ ولادته يرجع الى بضع سنوات قبل هذا التاريخ أي في أوائل القرن الثالث عشر · كتب مولانا جل آثاره بالفارسية ، وله بعض الاسفار القليلة بالتركية والرومية ·

baski, Istanbul 1976, S. 11.

الى تاريخ ومكان ولادة هذا الشاعر الكبير ، فهل الهدف هو يونس الفانى ، ام أن الهدف هو يونس الذى بنى له فى كل قلب عمشا متجاوزا بذلك كل العصور والأماكن (١٩) .

19. Dursum yildirim : ölümünden 650 yilinda Yunus Emre, Türk kültüru derqisi, Sayi, 108, S. 24 - 25.